الطوسي

رسالة بقاء النفس بعد فناء الجسد

تجليد
صالح الذكر
بيروت - المزرعة

CA
218:T96rA

الطوسي، نصير الدين محمد بن محمد.

رسالة بقاء النفس [illegible]

CA
218
T96rA

11 Sep 03

1 SEP 64

J. LIB.
8 APR 1981

MCGILL LIB.
22 JAN 1996
Circulation Dept.3

CA
218
T96rA
c.1

رسالة

بقاء النفس

بعد فناء الجسد

للفيلسوف الكبير والفلكي الشهير
نصير الدين محمد بن محمد
الطوسى الوزير
المتوفي سنة
٦٧٢
هـ

خلق الناس للبقاء فضلّت
أمة يحسبونهم للنفاد
وانما ينقلون من دار أعما
ل الى دار شقوة او رشاد
ابو العلاء
المعري

وشرحها

للعلامة الكبير والمصلح النحرير الاستاذ الشيخ ابي عبدالله الزنجاني

طبع بمطبعة رعمسيس بشارع الفجالة بمدينة القاهرة بمصر

كلمات وجيزة للناشر

كلمة عن المتن والماتن

المتن صحيفة في اثبات تجرد النفس الناطقة وبقائها بعد فناء الجسد على أسلوب القدماء من حكماء الاسلام. صيغ كرسالة بقلم الوزير الكبير الفيلسوف الشهير نصير الدين محمد بن محمد الطوسي المتوفي سنة ٦٧٢ هـ. وكان تلاميذه كالقطب الشيرازي والنظام النيسابوري والعلامة الحلي يلقبونه «استاذ البشر». وقد احله الافرنج محلاً سامياً لا يدانيه فيه أي فيلسوف في الشرق حتى انهم سموا باسمه جبلاً اكتشفوه في كرة القمر تذكاراً لذكرى خدماته العلمية البشرية

كلمة عن الشارح

والشرح بقلم العالم الكبير الاستاذ الشيخ أبي عبد الله الزنجاني اوضح فيه مقصد الفيلسوف نصير الدين ووضع مقدمة مبسوطة تكفل تاريخ المذاهب في المادة والنفس في الادوار الفلسفية واعرب في الشرح عن رأيه الخاص

كلمة عن التعليق والمعلق

بعض التعليقات شذرات تاريخية ودينيه وفلسفية بقلم العلامة الحكيم والمصلح العظيم معالي هبة الدين الحسيني الشهرستاني وزير المعارف الاسبق في العراق وضعت لها علامه هـ ن

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على كافة الانبياء والمرسلين ، سيما محمد وآله الطيبين الطاهرين .

وبعد . فقد عثرت على نسخة مخطوطة من هذا الأثر النفيس تاريخ كتابتها في حدود سنة ١١٠٠ هـ وأطلت فيها النظر حينما كنت مشغوفاً بكشف خوافي أسرار علم النفس ودرس احوالها تجلت لي كانها ينبوع نور ينبثق عنه أشعة تضيء غياهب الجهل مع أنها ليست الا بضعة سطور فيها أفكار سامية ومعان عالية ترشد الحائر الذي خانه الدليل الى سواء السبيل وأسلوبها بلغ من درجات الكمال أعلاها ومن مراقي الجمال اسمها فلا غرو فان واضعها أكبر فيلسوف جاد به القرن السابع وأنور قبس ظهر في ظلمة مدلهمة فآثرت شرحها شرحا يوافق أسلوب العصر واضعاً لها مقدمة مبسوطة تبين مقام الروح والمادة فلسفياً في الادوار الثلاثة الدور اليوناني فالعربي الاسلامي فالافرنجي وذاكراً مختصراً من البسكولوجيا (١) العصري ليكون وافيا بالغرض واتوخى به خدمة العلم الصحيح .

---

(١) علم النفس

﴿كلمة عن نفس الرسالة﴾

وضع الفيلسوف الاعظم نصير الدين هذه الرسالة لتلميذه موید الدين الفلكي المهندس الذي عاضده في مرصد مراغه ذكر اسمهافي عداد مصنفاته من القدماء محمد بن شاكر بن احمد الكتبي المتوفي سنة ٧٦٤ في كتابه (فوات الوفيات) وذكرها من المتأخرين محمد حسن خان الاديب الفارسي الشهير بالحكيم في كتابه ـ كنج دانش [١] ـ الذي وضعه في الجغرافيا والبلدان والعالم الجليل الشيخ عبد العزيز الجواهري في كتابه الكبير آثار الشيعة الامامية

---

(١) (كنج دانش) كلمة فارسية بمعنى ـ مخزن العرفان ـ وهو يبحث عن البلدان والتواريخ وتراجم مشاهير الرجال .

مذاهب حكماء اليونان

في المادة والروح

بنى افلاطون(١) اساس مذهبه في تكوين العالم على ازلية مادة اصلية يعبر عنها بالعنصر غير المصور او الهيولي (٢) الاولى لا شكل لها ولا مثال مستعد لقبول الصور فاذا قبلت الصورة تكون بمثابة الام للاشياء وهذه المادة اصل العالم ومنها اخذ العالم شكله وكيانه ومذهبه ينبىء عن استحالة خلق الشيء من لا شيء والمعلولات على اختلافها على مذهبه تنتهي الى علة اولى سرمدية

نسب اليه فلوطرخس في رسالته في (الاراء الطبيعية) ان افلاطون يقول ان الاجسام كانت في البدء متحركة حركة غير منتظمة والاله رتبها بالنظام حيث النظام افضل من لا نظام

---

(١) افلاطون «Platon» من اشهر فلاسفة اليونان. ولد في اثينا في السنة الاولى من الاولمبياذة الثامنة والثمانين نحو سنة ٤٣٠ قبل المسيح. وتوفى في السنة الاولى من الاولمبياذة المائة والثامنة نحو سنة ٣٤٨ عن ٨١ سنة. وهو من عائلة وجيهة ابوه اريستون من نسل قدروس اخر ملوك اثينا القدماء وأمه بريسكون من نسل صولون الحكيم

(٢) الهيولي كلمة يونانية معناها الاصل والمادة وفي الاصطلاح هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين الجسمية والنوعية

مذهب ارسطو [١] في المادة والنفس

ذهب هذا الفيلسوف بأزلية الافلاك التي توهمها القدماء وهي عنده من عنصر خامس غير العناصر الاربعة غير فاسد يسمى (بالاثير) ويعبر عنه بالجوهر الالهي فهو لا يقبل أي تأثير وتغيير وزوال

فالمادة الاصلية أو العنصر غير المصور التي يسميها ابن رشد شارح فلسفة ارسطو بالمادة القصوى لا فاعل لها عند ارسطو ولكن فاضت الى تلك الافلاك من القوة المدبرة الخفية حركة تحرك بها الجسم الاول أي الفلك الاعلى وبحركتها تحرك جميع ما اتصل به حتى انتهت الحركة الكل (كذا)[٢] وهذه الحركة أيضاً أزلية فحقيقة هذه النظرية تنبىء عن أزلية الا ثار العلويه وأزلية حركتها واستحالة خلق الشيء من لا شيء

ووظيفة القوة المدبرة القاهرة أي القوة الالهية تحريك هذه الاجسام بنظامها المتين والعالم لو فارقته هذه القوة الصمدانية لا يتهيأ له الثبات والدوام قال في رسالته المعروفة (بالرسالة الذهبيه) التي وضعها (لاسكندر الملك) وعربها عيسى بن ابراهيم النفيسى ان الاجماع يترافع قديماً وحديثاً

---

(١) ارسطو « Aristote » هو فيلسوف يونانى عظيم . ولد في بلدة « ستاجير » من بلاد مقدونيا ولمؤلفاته أهمية كبرى وتعتبر كدائرة معارف عند العلماء ومنها (تاريخ الحيوانات) « L'Histoire des Animause » وقد توفى في « شالكيس » (سنة ٣٨٤ — ٣٢٢ قبل المسيح)

(١) نقلت العبارة عن رسالة ارسطو الذهبية ولعل الصحيح الى الكل

ان قوام كل شيء وثباته من الله تعالى عز وجل ليست في العالم طبيعة واحدة يتهيأ لها الثبات اذا فارقتها القوة الصمدانيه والمعونة الالهيه[١] وهو ينكر ، باتا تأخر صدور الفعل عن العلة الاولى تأخراً زمانياً والعقل[٢] عنده غير مسبوق بالزمان بل مسبوق بذات الفاعل وأول كلمات بعض الفلاسفة التي يستظهر منها تأخر صدور الفعل تأخراً زمانياً بانهم (لما أرادوا التعبير عن العلية افتقروا الى ذكر القبلية والقبلية في اللفظ يتناول الزمان وكذلك في المعنى عند من لم يتدرب) وهو ينفي وجود فرق جوهري بين رأيه ورأي الفلاسفة في ذلك وهذان النابغتان يعترفان بالعلة الاولى الفاعلة المدبرة مع نفيهما الحدوث زماناً عن المادة الاصليه وفئة من فطاحل الفلاسفة اليونانيين يذهبون الى أزلية المادة وينكرون العلة الفاعلة

(منهم) : ارسالاوس[٣] من اثينا مذهبه ان مبدأ العالم ما لانهاية له يعرض فيه التكاثف والتخلخل فمنه ما يصير ناراً ومنه ما يصير ماء . ومنهم (اثاكمندوس من ملت) يذهب بان مبدأ العالم والموجودات ما لانهاية له ومنه كان الكل واليه ينتهي الكل ولذلك يرى انه يتكون عوالم غير متناهيه

---

(١) والرسالة من أجل الاثار العلميه

(٢) والمراد من العقل هو العقل الاول الذي هو مصدر ثان جوهري لكافة المعلولات

(٣) ارسالاوس . « Areésilaus » او : ارسيزيلاس « Areésilas » هو حكيم يوناني ، ولد في « بيتان » « Pitane » ٣١٦ ـ ٢٤١ قبل المسيح — وهو احد اساتذة سقراط «Socrate» . وقد اسس اكاديمية عظمى فى بلاده «Le Académie» ، وله كثير من الفضل على تلاميذه التي لايحصى عددها

فيفسد ويرجع الى الشيء الذي منه تكونت تلك العوالم ولا يعتريه نقصان وهو موجود دائمي

ومنهم (ابيقورس) [١] الفيلسوف من اثينا المعاصر لذيمقراطيس مذهبه ان مبدأ الموجودات أجسام صغار (اي ذرات صغيره لا تدركها الحس لصغرها) وهي ازليه غير فاسدة ولا يعرض لشيء من اجزائها اختلاف ولا استحالة وهي ذات شكل وثقل

ومنهم (انباد قلس) [٢] يذهب ان الاثير غير الفاسد من مبادي الاشياء وهو يفرض الاسطقسات مؤلفه من تلك الاجزاء الصغيرة فهي بمثابة اسطسقات للاسطقسات فهي غير متناهية عنده ومقتضى نفي التناهي نفي العلة الفاعلة ومنهم ذيمقراطيس [٣] الطبيعي الشهير ومذهبه أن الدقائق في

---

(١) ابيقوروس (Epicurs) ويقال ابيكور او ابيقور ، احد مشاهير حكماء اليونان قيل ولد في جزيرة ساموس (٣٤١ ـ ٢٧٠) قبل المسيح وقيل ولد في جرجنسوس احدى ضواحي اثينا وقيل انه ولد في (غرغته) قرية في (اتيكة) لان اصل سلفه من هناك واتى به طفلا الى «ساموس» (Samos) وكان ابوه فقيراً معلماً في احدى المدارس الحقيرة ويضرب بعلمه المثل فيقال : ابيقورمي (Epicurien)

(٢) انبادقلس ولد في اجريجنتا بجزيرة صقيليا سنة ٤٥٠ ق م ولم تتحقق سنة وفاته

(٣) ديموكرت (Démocrite) أو: ذيمقراطيس ، او . ذيموكريتس . هو فيلسوف مشهور ولد في (ابديرة) من (تراقة) في القرن الخامس قبل المسيح أي عام ٤٧٠ ق . م . ولا تعرف سيرة حياته ولا تصانيفه معرفة ثابتة : اما تصانيفه فلانها لم تصل الينا واما حياته فلأن ما كتبه عنه الاقدمون مختلط

المادة منتشرة بسيطة لا تتجزى أزلية تفوق الحصر ولا تدرك لصغرها وهي شبيهة بالغبار الموجود في الهواء والذى لا يدرك عادة ولا يظهر الا في شعاع الشمس ومن اتحاداتها تتكون الموجودات من جماد وحيوان والنفس عنده من جواهر لطيفة صغار

مذهب ارسطو

وأستاذه أفلاطون في النفس

يرى الثاني انها جوهر روحي تحرك من ذاتها والاول يعرفها كما بين ابن سينا الفيلسوف في رسالته في النفس انها كمال أول لجسم آلي طبيعي والفرق الجوهري بين المذهبين هو أن النفس عند أفلاطون موجودة قبل وجود البدن تتعلق به بعد وجوده : وعند أرسطو وان كانت غير مادية الا أن وجود البدن شرط لفيضان النفس اليه عن المبدع تعالى فعليه تكون النفس غير موجودة قبل البدن .

ثم أن أرسطو يثبت جوهراً عقلياً مفارقاً للاجسام يقوم للنفوس البشرية مقام الضوء للبصر والنفوس اذا فارقت الاجسام تتحد به وهو المسمى (بالعقل الكلي) وهي عندها خالدة باقية فالخلود يختص بجزء النفس العقلى أي للنفس الناطقة (١)

بحكايات لاطائل تحتها . ويزعمون أن ديمقراطيس عاش ١٠٩ سنة ، وانه مات باختياره كرهاً في البقاء بانقطاعه عن الطعام

(١) ياتفس مثل الشمس أنتِ أشعة ... في عامر وأشعة في بلقع
فاذا طوى الله النهار تراجعت ... شتى الاشعة فالتقت في المرجع
احمد شوقي

رأي ابيقور وذيمقراطيس

ابيقروس وديمقراطيس يذهبان الى فناء النفس ودثورها

مذهب بعض فلاسفة اليونان في الحياة وظهورها في وجه الارض

يرى انقسمدرس (١) ان الحيوانات الاولى تولدت في الرطوبة وانه كان يغشاها قشور مثل تشور السمك ولما أتت عليها الدهور والسنون صارت حياتها زمناً قصيراً يسيراً فالحي عند ذيمقراطيس وابيقورس لا يتولد الا من الحي (٢)

---

(١) انقسمدرس او: انقسيمندروس (Anaximandre) فيلسوف ورياضي يوناني في المدرسة الايونية . وهو ابن « بركسيدس » . « ولد في ميليتوس » ٦١٠ - ٥٤٧ قبل المسيح - وقد نسب اليه الاقدمون اختراعات غريبة واعمالا عجيبة . فقالوا انه رسم اول الخرائط الجغرافيـة . واختزع المزولة (الساعة الشمسية) ومنهم من قال انه لم يخترعها بل علم أبناء بلاده كيفية استعمالها . وله مؤلف ضخم يبحث عن « اللانهاية »

(٢) هذا الراي يؤيد مذهب النشؤ والارتقاء الذي شاع في القرون الاخيرة

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف وهي التي سفرت ولم تترفع

(ابن سينا)

مذهب فلاسفة الاسلام في المادة والروح

أشرقت جزيرة العرب بنور النبي العربي صلى الله عليه وآله وسلم وظهر الاسلام وأساسه توحيد الحق المبدع وتنزيهه عن كل عجز ونقص وكان العالم في نظر المسلم الذي ربته التعاليم القرانية الصحيحة بارضه وسمائه وما احتوى عليه من حيوان ونبات وجماد خاضعاً للقدرة الالهية يفعل الباري ما يشاء ويحكم ما يريد. ولما بزغ فجر القرنين الثاني والثالث وجاء عصر التمدن العربي الاسلامي وجه المسلمون عزيمتهم الى نقل كتب الفلسفة التي وضعتها الامم الراقية كاليونان والرومان والفرس والهند وانتشرت بين المسلمين آراء فلسفية ومبادىء فكرية تلقاها قوم من علماء المسلمين بايمان وطيد واعتقاد أكيد وبرع رجال في تلك العلوم الفلسفية ووضعوا فلسفة مؤلفة من المباديء اليونانية والتعاليم الاسلامية وهم فلاسفة الاسلام ومن أكابر هؤلاء الفيلسوف ابن سينا [1] ومحمد بن محمد

---

(١) ابن سينا المتوفي سنة ٤٢٨ هـ - ٩٨٠ - ١٠٣٦ يدعوه الافرنج (Avicenne) هو ابو علي الحسين ابن عبد الله بن سينا البخاري

الفارابي [١] وابن رشد الاندلسي الطائر الصيت واقتفت آثارهم فئة أخرى من المسلمين وقاموا بانتصارهم ولما كانت مبادىء الفلسفة اليونانية واخواتها مشتملة على أصول من الوثنية تناقض مبادىء الديانة الاسلامية التي أساسها التوحيد ظهر قوم ووضعوا مبادىء عقلية وفق المبادىء الاسلامية وقاموا بنقض ما يناقض من تلك الآراء قواعد الشريعة الاسلامية وهم متكلمو الاسلام ومن أكابر هؤلاء حجة الاسلام ابو حامد الغزالى [٢] ونصير الدين

المشهور بالشيخ الرئيس من كبار فلاسفة الاسلام ولد في قرية خرمثين سنة ٣٧٠هـ وكان حاد الذكاء نادرة عصره

انتقل ابوه الى بخارا وهي يومئذ حافلة بالعلماء في زمن نوح بن منصور من ملوك الدولة السامانية مات في همذان سنة ٤٢٨ وهو في الثامنة والخمسين ومؤلفاته تربو من المئة وترجم أكثرها الى اللغات الغربية

(١) هو ابو نصر محمد بن طرخان ولد بالفاراب من أعمال خراسان سنة ٢٦٠ وتوفي بدمشق الشام سنة ٣٣٩ هـ

ولمؤلفاته أهمية كبري . وهو من أكابر فلاسفة الاسلام

(٢) هو ابو حامد ابن احمد ولد بطوس من أعمال خراسان في سنة ٤٥٠ ومات بها سنة ٥٠٥ بعد ان مثل دوراً مهما في الحركة الدينية والفلسفية في عصره

ولما هاله أمر المفكرين الاحرار كتب في الدفاع عن الدين الاسلامي مؤلفاته الثلاثة . احياء العلوم . ومقاصد الفلاسفة . وتهافت الفلاسفة . وأخذت الفلسفة عند العرب تتدهور وتتضاءل امام طعنات الغزالى وكاد ينمحي اثرها في الشرق بعد ابن سينا ولكنها نهضت في الاندلس وابن رشد الحفيد كان من عمدة هذه النهضة

محمد الطوسي[١] والعلامة الحسن ابن المطهر الحلي[٢] وفخر الدين محمد بن عمر الرازي[٣] وكان النضال بين الفريقين بشدة لم يعهد في تاريخ العلم مثله وافتتح باب التأويل في بدء الحركه العلميه لكتاب الله المجيد كل يعزز رأيه به وكتاب الله برئي عن موافقة ا راء باطلة ومباد فاسدة

أما الفريق الاول أي فلاسفة الاسلام اتباع فلسفة افلاطون وارسطو فمذهبهم أزلية مادة أصلية وفقاً لرأي الفيلسوفين وانكار خلق الشيء من لاشيء[٤] يسمونها بالهيولي[٥] أو العنصر غير المصور والمحدث الحقيقي أي حدوث شيء من العدم البحث عندهم باطل بحكم الضرورة ولابي على الفيلسوف برهان عقلي لاثبات هذه المادة أي الهيولي وهو ان الجسم في نفسه متصل وللانفصال له قابلية ويستحيل ان يكون القابل لها هو الاتصال

---

(١) المتوفي سنة (٦٧٢)

(٢) وهو الحسن ابن المطهر الحلي تلميذ نصير الدين الشهير بآية الله ولكتبه وآرائه اهمية كبري وهو من اكابر المؤلفين . الف كتبا كثيرة في الاصول والفقه على المذاهب الاربعة ومذهب الشيعة . وفي الفلسفة والكلام والمنطق والفلك وشرح كتاب التجريد لنصير الدين واوضح معانيه الدقيقة توفى سنة ٧٢٨

(٣) هو فخر الدين محمد بن عمر الرازي من كبار رجال العلم وله مؤلفات مشهورة ترجم بعضها الى اللغات الاجنبية وكانت فلسفته دينية وعقلية توفي سنة ٦٠٦

(٤) لم تثبت مخالفة القرآن لهذا الرأي بعد ماجاء فيه (أم حلقوا من غير شيء) اذ الاستفهام انكاري تحقيقاً ه.ن

(٥) الهيولي عند لوك Locke الفيلسوف مؤلف كتاب بحث العقل البشري المولود سنة ١٦٣٢ المتوفي سنة ١٧٠٤ ضرورية للازمة

لنفسه لان الشيء بنفسه لا يقبل عدمه فلابد للاتصال من محل يقبل الانفصال وذلك المحل هو الهيولي والاتصال هو الصورة وعضد ابن رشد أزلية المادة بالنوع وحدوثها بالصورة بآيات من الكتاب المجيد وحاول بها نفي الحدوث الحقيقي أي خروج الشيء من العدم المحض كقوله تعالى (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) حيث يقتضي بظاهره وجوداً قبل ايجاد السموات والارض وهو العرش والماء وقوله تعالى (ثم استوى الى السماء وهي دخان) يقتضي بظاهره حدوث العالم بمشية الهية عن مادة سابقة وهي الدخان للعالم وهو يقول (ان ليس في ظاهر الشرع ما يثبت ان الله تعالى كان موجوداً بلا وجود مخلوق [١] أي مع العدم كما زعمه المتكلمون

وأما الفريق الثاني أي المتكلمون فمذهبهم حدوث المادة حدوثاً حقيقياً أي المادة عندهم خارجة عن العدم المحض بقدرة خفية أزلية لم ينكشف الى الآن سرّها

وللعلامة نصير الدين الطوسي برهان عقلي في حدوث المادة والاجسام المتشكلة منها بأسرها : وهو ان الاجسام والمادة لاتنفك عن جزئيات قضت البديهة بحدوثها وما هذا شأنه فلابد ان يكون حادثا والحركة التي هي من أخص خصايص المادة هي نفسها حادثة اذ لا نعقل من انتقال [١] الشيء

---

(١) كيف وقد جاء (كان الله ولم يكن معه شيء) ه . ن

(٢) هذا وأمثاله يثبت حدوثها افراديا لا مايسمونه نوعياً فلاينافي أزليتها هيولياً
ه.ن

من حالة الى اخرى الذي هو معنى الحركة الا سبق الحالة المنتقل عنها على الحالة المنتقل اليها سبقاً زمانياً حيث لايجامع فيه السابق والمسبوق والمسبوق بالغير سبقاً زمانيا مسبوق بالعدم لان معنى عدم مجامعة السابق والمسبوق هو ان يوجد السابق ولا يوجد المسبوق والمسبوقية بالعدم هي معنى الحدوث

وهذا البرهان يخالف قاعدة لافوازيه المعروفة اذ ثبوت الحركة التي لاتنفصل المادة عنها ولا هي عن المادة توجب حدوث المادة من العدم المحض ومذهبهم أي المسلمون المتكلمون في النفس هو الاتفاق على خلودها وعدم فناءها بعد فناء الجسد وهي عندهم قوة من القوى المجهولة وهم يرون ان البدن شرط في افاضتها كما يرى ذلك ارسطو وليست موجودة قبل وجود البدن كما يذهب اليه افلاطون

الموت هو الدخول الى النور الاعظم

(هيجو)

المادة والروح عند الافرنج

كان لفلسفة ارسطوا المقام الارفع عند الافرنج وكان الفليسوف ابن رشد الاندلسى نصيرها الكبير بشرحه تلك الفلسفة وبثها بين الافرنج وكان لها سلطان عظيم في نفوسهم الى ان اكتشف غاليله سنة ١٦٠٩ (١) دوران الارض ووضع النظام الجديد فى الفلك وعند ذالك حدثت ثورة في الافكار وهياتها لقبول مباد حديثه في الفلسفة وفى خلال هذه الحركة الفكرية ظهر الفليسوف باكون (٢) ووضع صرحاً علمياً حديثاً اساسه الاختبار والتجربة وبذلك تزعزت اركان فلسفة ارسطو وأخذ ظلها

---

(١) — غاليله « Galilsé » من اعظم الفلكيين الايطاليين . ولد في مدينة (بيز) « Pise » وتوفي ضريراً (١٥٦٤ — ١٦٤٢) وقد اخترع في (فونيز) « Venise » عام ١٦٠٩ اول مكبر تمكن من معرفة احوال القمر بواسطته. فهو الذي اكتشف كيفية دوران الارض حول الشمس كما تدور حولها غيرها من النجوم (والعوالم) الاخريات التي تتنعم من نورها . وقد الف عام ١٦٣٢ مجلداً ضخماً اودع فيه جميع الاسرار التي اكتشفها . وهو مجلد لطيف شكره على تأليفه اياه كل فيلسوف وعالم

(٢) فرانسوا باكون « Français Bacon » هو فيلسوف انجليزي عظيم كان زمن الملك (جاك الاول) «Jacques 1er» ولد في لوندرة «Londres» وقد نجى الفلسفة من السقوط بكتابته مجلداً سماه « Novum Arganum » ولد وتوفي عام — ١٥٦١ — ١٦٢٦ — .

يتقلص شيئا فشيئا وذهب من فلسفته مالم يكن مقترناً بالبرهان الساطع وبقي الصحيح حسب ناموس الارتقاء والنشو والفلسفة الحديثه كالقديمه تعتبر المادة مركبة من جواهر فرده فى نهاية الصغر تسمي (اتوم) والعناصر في الفلسفة الحديثه عددها يربو عن (٧٠) عنصراً بعدان كانت عند القدماء اربعة فالكون عند عامة الطبيعين مركب من ماده قابلة للوزن ومن قوة تحرك تلك المادة وهى غير قابلة للوزن وهي على اشكالها (كهرباء) (نور) (حرارة) حركات في الجواهر الفرده تتنقل بواسطه سائل لطيف غير قابل للوزن تسبح فيه الجواهر الفرده ويسمي اثيراً وكل واحد من هذه الامور الثلاثة مستقل في خصائصه عن الاخرين اذ لا علاقة ظاهرية بين القابلة للوزن وغير القابلة له والكمية المحدوده من الماده في العالم لا يعتريها عندهم تغير زيادة ونقصاناً وعلى هذا الاساس بني لافوزية قاعدته المعروفة ان لاشيء يخلق ولاشيء يعدم فشرحها انه اذا احرقت قطعة ورق تحولت الى مادة سوداء تختلف بخصائصها عن مادة الورق لان الورقة انحلت الى اطوارها الاصلية (كربون) (Carbone) (هيدورجين) (Hydrogène) اوكسجين (Oxygène) وغيرذالك فاختلف تركيبها فكربونها مثلا اتحد بعضه باوكسجين الهواء فتحول الي حامض كربونيك (Acide Carbonique) وهو من قسم الغاز واتحد هيدروجينها ايضاً فتحول الي ماء بصورة بخار وبقي قسم من الكربون لم يتحد بالاوكسجين وهو الماده السوداء ففى المثل تغير شكل لورقة بانحلالها ولكن الجواهر الفرده الاصلية التى تركبت منها

الورقة لاتزال موجودة بتمامها وان تغير شكلها وبعد ما عرفوا استحالة المركبات بعضها الى بعض اكتشفوا هذه الحقيقة في القوة ايضاً فابانوا ان القوى يستحيل بعضها الي بعض فالحركة تستحيل الى الحراره وهذه الى ضوء ومن ثم تتحول الى كهرباء ورأى الطبيعيون ان بعض المواد تشترك بخصائصها بين المادة والاثير ويجعل الهواء موصلا للكهربائية وتخرق المواد الصلبة وتقبل تأثير المغنطيس وهي أمور غريبة على قواعد العلوم الطبيعية ومن ثم أخذوا في البحث عن كشف هذا السر الغامض فوصلت أفكارهم الى بعض نظريات أصيب بنقد وردّ ثم قام الدكتور جوستاف لوبون (١) البحاثة الافرنسي الشهير فأبان ان القاعدة القديمة ان المادة لا تفنى وانها جامدة لا تصدر منها الا القوة التي اكتسبتها من قبل ليست في طرف الاصابة والاحتبار المستند الى التجربة يدل على ان المادة مصدر هائل للقوة المسماة «بالقوة الكامنة في الذرات» وتلك القوة قابلة للانتشار بذاتها وأغلب قوات الكون وعلى الاخص الكهربائيه وحرارة الشمس آتية من تلك القوة الكامنة في الذرات والتي تنتشر في تحلل المادة القوة والمادة صورتان لشيء واحد فالمادة صورة من صور القوة الكامنة في الذرات وهي اكثر استقراراً والحرارة والضوء والكهربائية وماهو من نوع ذلك صورة ثانية لتلك القوة ولكنها اقل استقراراً ففصل الذرات بعضها عن بعض او بعبارة اخرى افقاد الماده ماديتها عبارة عن تحويل صورتها المستقرة الى صورها غير المستقرة المسماة بالكهربائية أو ضوء أو حرارة أو غير ذلك . ولما كان الضوء

(١) هو الفيلسوف البحاثة الشهير مؤلف كتاب جوامع الكلم وسر تطور الامم

والكهربائية واكثر القوى المعروفه متولدة من تحول المادة صح ان الجسم متى تشعع فقد جزءاً من جرمه بمجرد هذا التشعع فاذا استطاع ان يشعع قوته كلها تفانى بتمامه في الاثير

فراديوم[١] اسرع المواد انحلالا يرسل ذراته بسرعة تقرب من سرعة النور (٢٠٠/٠٠٠) كيلومتراً في كل ثانية فنصف الجرام منه بعد (١٥٠٠) سنة يتحول تحويلا تاماً وبعد (١٠٠٠٠) سنة لا يبقى منه الا جزءاً من مائة فاذا تتابع هذا الانتشار العظيم ولو بعد ملايين من السنين انقلب الى قوه مجهولة فالقوة وان لم يظهر سرها غير منفصلة عن المادة كامنة فيها ولا اثنية بينهما كما ظن بعض العلماء قديماً (هذا يقرب من آراء المتكلمين)

آراء الافرنج في الحياة

أهم آراء الافرنج في الحياة ثلاثة آراء كبرى أولها ان الحياة قوه من قوى وراء الطبيعة وهبة من العلة الاولى السرمدية وعلى هذا الرأي جماعة من اكابر علمائهم مصرحين بوجود العلة الاولى منهم الفيلسوف باستور[٢]

---

(١) راديوم (Radium) هو جنس معدني اكتشفه : بيمون كوري ، وامرأته السيدة كوري (Bémant et Mme. Curie) وقد وجداه في ابيش رانس (Béchurance) . وللراديوم الذي اكتشف عام ١٨٩٤ منافع جمة لتزييد انارة الكهرباء ، وللآلات المصورة الخ .

(٢) لويز باستور (Louis Pasteur) عالم فلكي افرنسي ولد في بلدة ضول (Dole) وهو معروف بخدماته العديدة للانسانية وبمخترعاته العظيمة لتطبيب المرضى . ولد ومات ـ ١٨٢٢ ـ ١٩١٢

يقول هذا الفيلسوف (ان معرفة الله واحترامه يصلان الى عقلي كما نصل نحن الى الحقائق الفيزيكيه .

سئل باستور كيف التوفيق بين اكتشافاتك العلمية والتعاليم الدينية فاجاب قائلا . بان دروسي بدلاً من ان تزعزع اعتقادي جعلتني في ايماني كالفلاح البريطاني (مثل افرنسي يضرب به المثل)

ومنهم نيوتون[١] الطبيعي الشهير الذي دحض آراء الماديين في اربع رسائل كبرى وبعث بها الى الدكتور تنبلي) يقول (ان هذا الانتظام في الشمس والقمر والسيارات والمذنبات لا يمكن أن يكون صانعه الا موجود قادر على كل شيء وهم ينكرون تولد الحي من غير الحي فالحي عندهم لا يتولد الا من الحي.

ومنهم باسكال يقول في كتابه (الافكار) ليس هذا العالم المرئى كله الا أثراً حقيقاً يكاد لا يرى في حضن الطبيعة الواسع

وانه كره لانهائية مركزها في كل مكان وليس أطارها في أي مكان يضل تصورنا بتلك الفكرة وذلك أكبر آية تدل على قدرة الله على كل شيء [٢]

---

(١) نيوتون (Newton) هو فيلسوف انكليزي الاصل ولد في ولستورب (Woolsthorpe) ـ ١٦٤٢ ـ (١٧٢٧)

(٢) بليز باسكال (Blaise Pascal) هو فيلسوف وفلكي افرنسي عظيم ولد في كليرمون (Clerment) ولقد كان ماهراً بعلم الحساب فتوصل لاختراع آلة كاتبة مخصصة للحساب . ففي أحد الايام حدث له حادث عند قنطرة نويي (Pont de Neuilly) دعاه يترك الفلسفة والاختراعات جانباً ، وينزوي الى العبادة ولذلك قل مع كل اسف النفع الذي كان يجتني من وراء لبيز باسكال ! ..

ومنهم مالبرانش (١) الفرنسي فانه قسم الكائنات الى أربعة أنواع فالنوع الاعلى هو الله المحيط بكل شيء

ومنهم هارفى مستكشف دوران الدم في البدن قال ما شرحت حيواناً الا رأيت فيه شيئاً جديداً وادلة جديدة على العناية الالهية

ومنهم الاستاذ جوليه فانه استنتج في عجائب مشاهداته في عالم الحشرات وجود قوة عالية الهية

ومنهم هكسلى يعترف في كتابه داروينا بأنه يستحيل نقض الالوهيه بحسب مذهب الارتقاء

ويقول في مقال آخر له ان من ينكر وجود الله كما تصوره (سبينبورا للاحمق ويعترف اخيراً بالقوة الفاعلة

وثانيها مايقول به (هيرمان ابيرهارد ريخير (٢)

ان الفراغ الذي نراه مملوء بالجراثيم الصور الحية كالجواهر الفرده التي تتكون منها المادة العمياء كلاهما في تجدد مستمر لايتولاهما العدم فالحياة على هذا الرأي ناشئة من الخلية .

وقد أصبح راهباً ديناً لا يتناسا العبادة ولو طرفة عين . وقد توفى قبل ان يتم كتاباً دينياً كان قد ابتدأ بتدوينه ، وهو تحت عنوان (تأملات) (Pensées) . ولد وتوفى عام—١٦٢٣—١٦٦٢— ولباسكال مقال على الانسان يقول به : « ما المرء الا قصبة من القصبات العادية ، الا انه قصبة مفكرة . »

(١) ولد مالبرانش سنة ١٦٣٨ م وتوفى سنة ١٧١٥

(٢) هيرمان ابيرهارد ريختر (Hermann Rickter) الملقب بـ(جانبول)

ثالثها رأي القائلين بالتولد الذاتي وبهذا الرأي الدكتور باستيان من انكلترا والاستاذ هيكل (١) من ألمانيا فالحياة على مذهبهم من غير الحي فعليه لاتكون أزلية

(أما النفس الناطقة)

التي هي عند الروحيين مصدر القوى العقلية فهي عند الماديين ناشئة عن أعمال دماغية فالدماغ مصدر القوى العقلية وهم ينكرون تجردها بالمعنى الذي يثبته الروحيون شرحا وايضاحاً لمذهبهم نورد مثالا لكيفية فعل الدماغ اذا وصل أثر الاهتزاز الاثيري من المبصر الى شبكة العين يحدث في العصب النظري اهتزازاً ويمتد هذا الاهتزاز الاثيري الى الطبقة المستقرة في محل مخصوص من الدماغ ويصل الى خلية حساسة من الخلايا الدماغية وهنا تأخذ هذه الخلية في احالة هذا الأثر الى احساس بصري وكذلك سائر الاعمال الدماغية من الحواس الظاهرية والباطنية فمجموع الافعال الدماغية الناشئة عن الاهتزازات في الاثير والاعصاب وانتباه الخلايا بحركتها الموجودة في المادة الدماغية هو النفس فعليه تكون هذه الافعال ناشئة من القوة الكامنة في المادة وافراغ المادة تلك القوة الكامنة في ذاتها وخلاصة الرأي ان العقل حركة في الياف الدماغ الدقيقة

ان ذكر الفيلسوف نصير الدين الطوسي في ضمن رسالته بعض آثار

(Jean Paul) هو كاتب المانى . ولد وتوفى عام ـ ١٧٦٣ ـ ١٨٢٥

(١) (Hegel) فيلسوف بحاثه المانى شهير ولد سنة ١٧٧٠ ـ ١٨٣١

لحواس الظاهرية والباطنية واشارته الى ارتسام الصور في الدماغ دعانا ان نذكر شيئاً من تركيب الدماغ واعمال حويصلاته بما أثبته علماء العصر استناداً الى الاختبار الصحيح والاكتشاف الصريح لتكون المقدمة بذلك وافية للغرض وموضحة لابحاث الرسالة والله تعالى ولي التوفيق

(الدماغ)

وهو من أهم المراكز العصبية فتتكوّن من مادة نخاعية تشغل الجمجمة ويقدرون زنته تقريباً في الانسان نحو (١٣٠٠) جرام وهو يتألف من عدة أجزاء أهمها أربعة :

(١) المخ وهو يشغل الجزء العلوي والمقدم من الجمجمة ويبلغ ثقله نحو ٩ أعشار ثقل الدماغ كله

(٢) المخيخ مركزه في أسفل المخ من الجهة الخلفيه

(٣) القنطرة وهي حزام عصبي عريض يلتف حول النخاع المستطيل ويصل الجزء المخيخ الايمن بالجزء الايسر منه

(٤) النخاع المستطيل وهو الوصلة بين الدماغ والنخاع الشوكي

(المخ)

يتكون من جوهرين مميزين أحدهما لبي أبيض كثيف وهو الجوهر الليفي العصبي الذي يتكون من الجزء الاكبر من الدماغ ويتكون من جانب عظيم من المراكز العصبية وهو الجزء الرئيسي من الاعصاب التي تصل

المراكز الدماغية بالانسجة والثاني سطحي رقيق سنجابي اللون مائل الى الحمرة وهو الجوهر الحويصلي العصبي وفيه مراكز الحس وقوى العقل كالفكر والارادة وفيه تضاركيس كثيرة تعرف بالتلافيف المخية وللتلافيف المخية أهمية كبرى في القوى العقلية والاعمال العصبية

(المخيخ)

يتألف من ثلاثة أجزاء : اثنان منها متساويان في الجانبين وواحد منها اصغر من كل منهما وهو كالمخ يتكون من مادة سنجابية ظاهرة وأخرى بيضاء باطنة والمادة الاولى تتفرع بين أجزاء المادة الثانية ووظيفة المخيخ هي تنظيم الحركات الجثمانية وترتيبها ولا شأن له في نفس الحركات فانها من فعل المخ

(النخاع المستطيل)

هو كتلة عصبية تربط الدماغ بالنخاع الشوكي ويتألف من مادتين احديهما بيضاء ظاهرية والاخرى سنجابية باطنية عكس المخ ويتقابل فيه كثير من اعصاب النخاع الشوكي الواردة الى الدماغ ومنى وصلته هذه الاعصاب انعكس اتجاهها . فالاعصاب الآتية من الجهة اليمنى في الجسم تذهب الى جهة نصف كرة المخ الايسر والاعصاب الآتية من الجهة اليسرى تذهب الى نصف كرة المخ الايمن وهو مركز من مراكز الاعمال المنعكسة وواسطة وحيدة بين أعصاب النخاع الشوكي والمخ والمخيخ وتنقل التأثيرات الى الدماغ والحبل الشوكي بواسطة الاعصاب وهي خيوط في

غاية الدقة وحبال اتصال تصل المراكز العصبية بعضها ببعض وتتوزع في انحاء الجسم المختلفة فتحمل القوة من المركز الى انحاء الجسم وكذلك تنقل التأثيرات منها الى المركز ووظيفتها مزدوجة وفيها نوعان من الالياف الاول : الالياف الموردة وهي أعصاب الحس التي تنقل التأثيرات من المحيط الى المركز والثاني : المصدره وهي الاعصاب التي تنقل التأثيرات من المركز الى المحيط وهي في عملها هذا لاقوة لها في توليد المجرى العصبي بل لابد لها من منبه لكي تقوم بوظيفتها فاعصاب الحس تتنبه عادة بواسطة الاجسام الخارجية التى تفعل باطرافها . وأعصاب المركز تتنبه بواسطة الارادة أو قوة أخرى تتولد في المراكز العصبية فعليه الحويصلات الدماغية لاتدخل في العمل الا اذا نبهتها قوة من الخارج ولكل منها مجال سعته بنسبة عدد الالياف العصبية التى تصلها باعضاء الجسم وتصلها بعضها ببعض

(في الحواس الظاهرية والباطنية)

زعم حكماء الاسلام وفلاسفة اليونان ان قوى الحواس الظاهرية مودوعة في نفس الآلات المختصة بها فالقوة الباصره مودوعه في العين والسامعة مودوعة في الاذن وكذلك القوى الثلاث الأخر من دون ان يكون للمخ الدماغي وحويصلاته والالياف العصبية التي تربط المراكز بعضها ببعض مدخلية في فعلها ذكر ذلك ابن سينا وأرسطو وغيرهما في مؤلفاتهم ولما بزغ فجر العلم في القرون الاخيره ظهر علم التشريح بمظهر جلي جديد وانضمت اليه التجارب الطبية حصل للعلماء معارف متقنة فاجتماع العلمين

أصبح ناتجاً عن علم يعرف بالعلم (البسكولوجي) (Byscologie) (الفسيولوجي) (Physiologie) أو الفلسفة النفسية المبنية على معرفة الوظائف العضوية وبدأ بهذا المظهر الجديد من عهد (بروكا) (١) الذي اكتشف مركز النطق من الدماغ واخذت الاكتشافات بعده يتبع بعضها بعضاً والعُقد تنحل واحدة بعد الاخرى فعرفت حدود الدماغ ووظائف كل نقطة وبظهور هذا الاساس الجديد عرف علماء العصر ان فعل الحواس ظاهرية كانت ام باطنية انما ينشأ من فعل الحويصلات الدماغية والتلافيف الموجوده فيها والالياف العصبية التي تربط المراكز بعضها ببعض

(في كيفية حصول المدركات)

وكيفية حصول المدركات وانطباع رسومها في الدماغ هو ان الدماغ في أول أدواره عديم الاكتراث بالمؤثرات الخارجية لضعف الجوهر النجابي فيه فكلما يتقدم الانسان في طي مراحل الحياة وتتسع دائره مشهوداته تأخذ حويصلات الحس والحركة بالنمو ويشرع بالتدرب على العمل بتثقيف ذاتي فيأخذ بالادراك شيئاً فشيئاً أي يصبح بنائه مستعداً لقبول صور المدركات التي ترد اليه من الخارج حتى اذا كمل بناءه ووصل الى درجة التكوين المادي يصبح كصفحة المرآت تنعكس فيها الصور فاذا أثر فيه

---

(١) بول بروكا (Paul Broca) جراح افرنسي ماهر ولد في سينت ـ فوى ـ لا غراند ، (Sainte-Fay-la-grande) وهو احد اعضاء المجمع الطبي وقد انشأ مدرسة طبية عظمى ولد وتوفى عام ١٨٢٤ ـ ١٨٨٠

مؤثر تناول رسمه وحفظه نسيجه وبيان ذلك ان تموج المؤثرات الخارجية يقع على الحواس الخمس فينتقل بحبالها العصبة الى الدماغ فينتهي فيه الى خلية مخية حساسة فهنا تأخذ هذه الخلية باحالة الأثر الوارد الى احساس خاص بكيفية وقف العلم دون كشف حجابها فما ينقل من العصب البصري يتحول الى احساس بصري وما ينقل من العصب السمعي يتحول الى احساس سمعي وعلى هذا النسق فعل الحواس الاخر وهذا الفعل أي فعل الحواس يحدث من التموج وهو نوع من التموج فما ينقل من العين يتحول الى تموج بصري وما ينقل من الاذن يتحول الى تموج سمعي (الخ) ويقف اذ ذاك عمل التموج المنقول بالحبال العصبية فتكمن قوته في الرسم المنقول عنه وتبقى في الرسم على حالة من البطوء والكمون وتكون على استعداد دائم لاسترجاع قوتها بتأثير محسوسات جديدة خارجية مباشرة أو غير مباشرة وعلى ذلك يكون في الطبقة السنجابية من الرسوم بقدر ما يرد اليها من التأثيرات وهي رسوم لمس وسمع وبصر وشم وذوق

ولا تقتصر الحويصلات على حفظ رسوم الحس بل تخزن أيضاً رسم الحركة التي تحدث من التموجات الصادرة من حركة العضلات والمفاصل والاطراف والمشي والكتابة وأمثالها بحيث ان كل الرسوم تكون نتيجة تموج خارجي محسوس يتحول الى نوعين حاس ومحرك ويطلق على المخزن الذي يخزن فيه الرسم المفكرة أو الذاكرة فهما اسمان مترادفان يستعملان لمعنى واحد وهو تنبيه صور محفوظة في الحويصلة الدماغية اذا انتبهت بفعل منبه خارجي جديد تحولت الى قوه فاعلة وحصل ما يسمى تصوراً اي ان

التصور هو انتباه صوره من صور المفكره كما يتضح ذلك في المثال الآتي:

اذا أومض برق وعقبه رعد أثر البرق في العين والرعد في الاذن أي ان جهاز القبول البصري يقبل التموجات الخارجيه بواسطة العصب البصري ويسجلها في مفكرته أي في حويصلة او عدة حويصلات دماغيه معينه ومخصصه لقبول هذا الاثر وجهاز القبول السمعي يقبل التموجات بوساطة العصب السمعي ويحفظها في الحويصلات المخصصه لقبوله فاذا طرق الاذن فجأة هزيم رعد جديد فاهتزازه يوقظ مباشرة الصور السمعيه وهذا هو تصور الرعد وغير مباشرة وهو تصور البرق فيحصل في آن واحد انتباهان منفصلان لصورتين منفصلتين وتصوران متميزان هما الرعد والبرق فالتصور هنا يتعلق بذكر واحد أي بصورة واحدة وليس بصور كثيرة والرعد والبرق لا ينكشفان الا باهتزاز واحد خارجي محسوس وليس لهما الا صورة واحدة وذكر واحد للرعد الصوت وللبرق النور

أما ارتباط التصور السمعي بالتصور البصري فناتج من ارتباط المركزين بالالياف العصبية التي تجعلهما يشتركان في مجموع من الاعمال

الذاكرة

بعد ما تصل التأثيرات الخارجية بواسطة الاهتزازات العصبية الى الدماغ تؤخذ صورها فيه وترتسم في حويصلاته ويحصل ذلك بسرعة وسهولة أو ببطء وصعوبة ويكون الرسم جلياً واضحاً أو ضعيفاً مشوشاً ويثبت مده طويلة أو يكون سريع الزوال كل ذلك بالنسبة الى بناء الحويصلات الخاص واستعدادها

الطبيعي لانها اذا كانت ضعيفة البناء قليلة النمو أخذت الرسوم ببطء وكانت قليلة الوضوح والدوام والحاصل من أخذ الرسوم الدماغية ومن تنبيهها وعودها الى الظهور هو مايسمي بالذاكرة وعليه تكون الذاكرة مجموع الحاصل من رسوم متعددة ومن استعدادها فهي ليست وظيفة واحدة دماغية مستقلة لها محل مخصوص محدود كما زعمه القدماء وفلاسفة الاسلام كابن سينا وابن رشد الاندلسي[1] وغيرهما وانما اطلق عليها اسم المفرد لتحديد عمل مشترك بين مجموع من الذاكرات ولايمكن ان يوجد ذاكرة واحدة لانه لا يوجد حاصل واحد لتصور التذكارات المتعددة واستعدادها بل ذاكرات كثيرة تتفرق حدودها في حويصلات السمع والبصر والشم والذوق واللمس ويصح ان يخصص اسم لكل منها كالسمعية والبصرية الخ

---

(١) Averroes ١١٢٦ ـ ١١٩٨

هو ابو الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد القرطبي من اكابر فلاسفة الاسلام شارح فلسفة ارسطو بلغ اوج مجده على عهده يعقوب المنصور بالله ووشوا به حساده بانه يعتنق الفلسفة المخالفة للدين الاسلامي ويوله الزهرة فعقد المنصور مجلساً من مشاهير قرطبة وحكم عليه بالنفي في مدينه (لوسانيا) غير انه رجع بحكم المنصور واكرمه

وله مؤلفات كثيرة ترجمها الافرنج من العربية الى اللغات الغربية وبحث الفيلسوف . (ارنست رناذ) في فلسفة وتاريخ حياته في كتابه الذي ترجم الى العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال علامة العالم نصير الملة والدين رسم المولى العالم الفاضل مؤيد الدولة والدين قدوة المهندسين ان اكتبه شيئاً افادة الحكماء المحققون في بقاء النفس الانسانية بعد بوار البدن فلم أجد بداً من امتثال مرسومه وان كنت قليل البضاعة في هذه الصناعة وكان ما يفرض من غيائب العلوم فهو في جنب علومه (علمه) الدقيقة قليل القدر صغير البنيان وبدأت بمقدمات يبتني عليها المطلوب وسالت من الله العصمة في المقال والتوفيق بصوالح الاعمال انه ملهم العقل وولى الخير من المبدء واليه المعاد

اقول الموجودات تنقسم الى ماله وضع والى مالا وضع له البتة ونعني بالوضع الكون في جهة من الجهات او حيز من الاحياز بحيث يمكن ان يشار الى الموصوف به اشارة حسية فجميع المحسوسات كالالوان والاصوات والروائح والطعوم والملموسات وكل ما يتعلق بالمحسوسات من محالها وأمكنتها ومقاديرها والاشياء الحالة فيها وما يجري مجريها جوهراً كان أم عرضاً فهي ذوات أوضاع وما عدا ذلك من الامور الكلية المعقولة محسوسة كانت أشخاصها أو غير محسوسة والجزئيات المفارقة للمواد كالباري تعالى أو العقول أو النفوس وما يعرض لها أو يحل فيها فهي مما لا وضع له وكل مدرك لشيء من الموجودات بتقديريه مثال لذلك الموجود فان أدرك بنفسه رسم ذلك في نفسه واذا أدرك بالآلة ارتسم في تلك الآلة مثال الادرك بالآلة الابصار

والاحساس بالسمع وساير الادراكات الحسية ومثال الادراك بغير الآلة ادراك الانسان نفسه وذاته سبب أعني بدنه الذي يدركه بحواسه واذا أحس المحس بشيء ارتسم في الخيال شبح لذلك الشيء أو رسم ما يلاحظه في النوم واليقظة مع غيبة ذلك المحسوس مهما أراد وانما يدرك ذلك الشبح أو الرسم من غير ملاحظة لوضعه انكان من ذوات الاوضاع (١) بخلاف الحس فان الحس يدركه مع وضعه ويتوهم مع ذلك منه معاني غير محسوسة كالملائمة والمنافرة والاستيناس والاستيحاش والصداقة والعداوه وغير ذلك وهي أمور جزئية تتعلق بالجزئيات محسوسة كانت أو غير محسوسة وهذا التخيل والتوهم أيضا يكون للنفس بآلات دماغية ويسمى بالاحساسات الباطنة

اعلم ان آخر ما وصل اليه العلم في مسئلة النفس وتجردها هو بيان آثارها الظاهره وخواصها اللازمة التي يستدل بها على وجود جوهر غير مادي هو مصدر هذه القوى الظاهره كما يستدل على وجود المؤثر بأثره نظير استكشاف الجاذبيه وسائر القوى الفيزيكيه عن ظواهر الطبيعة من دون ان تنكشف حقيقة تلك القوى وهذا شأن العقل في حكمه بوجود المؤثر عند درك الاثر حكماً جزمياً وهذا سبيل اتخذته الفلسفة الروحيه في ازاحة النقاب عن وجه هذا السر الغامض منذ العصر القديم ولن تبلغ الى مرتبة فوق هذه المرتبة ولو بذلت كل جهدها (يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا) ولذلك ترى ان غاية

---

(١) هذه الخاصة اي ادراك الخيال الامور من غير احتياج الى الوضع هي التي تميز الحواس الباطنية عن الظاهرية

ما اتى به الفيلسوف في الرسالة ان ابان آثاراً خاصة للنفس لا يصح ظهورها الا من جوهر غير مادي تظهر منه هذه الآثار ومهد عدة مقدمات يتبني عليها اثبات المقصود ويحكم بصحتها العقل وتقضي على صدقها البديهة من غير تروي وشك مفاد المقدمة الاولى هو ان الموجودات بأسرها تنقسم الى ماله وضع والى مالا وضع له والاول عبارة عن كون الشيء في جهة من الجهات أو في حيز من الاحياز بحيث يقع الموصوف به تحت الاشارة الحسية ويدخل تحت هذا القسم المادة وجميع القوى الفيزيكية حيث يقع جميعها تحت درك الحواس الظاهرية لانها لا تنفصل عن المادة على النظرية الحديثة والمادة ذات وضع والحال فيها يكون أيضا ذا وضع على ما يأتي في المقدمة الثانية فجميع ما تدركه الحواس الظاهرية كالالوان والاصوات والروائح والطعوم والملموسات وكل ما يتعلق بها من محالها وأمكنتها ومقاديرها والاشياء الحالة فيها وما يجري مجريها جوهراً كان أو عرضا فهي ذوات أوضاع وما عدا ذلك من الامور الكلية المعقولة التي لا تقع بنفسها تحت فعل الحواس الظاهرية وان وقعت اشخاصها تحت الحس ولا يمكن ان يشار اليها بنفسها اشارة حسية كالانسان الكلي الذي لا يمكن ان يشار اليه اشارة حسية وان صحت الاشارة الى أفراده المتشخصين وكذلك الجزئيات المفارقة للمواد كالباري تعالى عز اسمه حيث انه جزئي يمتنع صدقه على الكثيرين منزه من ان يكون من سنخ المادة والماديات أو العقول والنفوس وما يعرض لها او يحل فيها فهي مما لا وضع له ولا يقع تحت درك الحواس الظاهرية ويحصل الادراك بنوعين بواسطة الآلة وبلا واسطة الآلة وعند ادراك المدرك الموجودات بأسرها

وبتقديريه يحدث عند المدرك مثال للموجود المدرك فان أدرك بواسطة الآلة ارتسم المثال في الالة وان أدرك بنفسه ارتسم في النفس مثل الفيلسوف للاول الاحساس بالسمع والابصار ناظراً به الى رأي القدماء أي كون القوة مودوعة في نفس الالة ولكن لا يختل بذلك أساس البرهان بعد ان تفرض الالة نفس الخلية المخيه لا الاذن والعين فان الغاية تقسيم الادراك بنوعين بالآلة سواء أكانت خليه مخيه أم الاذن والعين وبغير الآلة ومثل للثاني أي الادراك بغير الآلة ادراك الانسان نفسه فان هذا القسم من الادراك ليس بواسطة الآلة وان كان احساس البدن سبب حدوث هذا الادراك

المتمه : واذا تقرر ذلك فنقول ارتسام الشيء في غيره أو الحلول فيه قد يكون على سبيل السريان كارتسام الصورة في سطح المرآت والسواد في الجسم وقد لا يكون كذلك كحلول النقطة في الخط والخط في السطح والسطح في الجسم فان النقطة لا تسري في طول الخط ولا الخط في عرض السطح ولا السطح في عمق الجسم واذا ارتسم شيء في شيء أو حل شيء في شيء على سبيل السريان بحيث لا يكون بين الحال والمحل امتياز في الحس كانت الاشارة الحسية الى كل واحد منهما هي الاشارة الى الاخر اذ لا يميز بينهما حساً فكل ما ارتسم أو حل في ذي وضع أو ارتسم أو حل فيه ذو وضع فهو ذو وضع وأيضا كل ذي وضع ارتسم أو حل في شيء أو حل فيه شيء فذلك الشيء أيضا ذو وضع[1]

(والنسخة الاصلية كذلك والعبارة أي قوله فكل ذو وضع الخ

(١) العبارة لعلها زائدة

الشرح : مفاد هذا الكلام ان ارتسام الشيء في غيره او الحلول فيه قد يكون على سبيل السريان كارتسام الصورة في سطح (١) المرآة والسواد في الجسد فان ارتسامها على سبيل (٢) السريان وقد لا يكون على سبيل السريان كحلول النقطة في الخط والخط في السطح والسطح في الجسم فان النقطة لا سريان لها في طول الخط ولا للخط في السطح ولا للسطح في عمق الجسم ثم انه اذا ارتسم شيء في شيء أو حل شيء في شيء على سبيل السريان بحيث ارتفع الميز بين الحال والمحل كانت الاشارة (٣) الى كل واحد منهما هي الاشارة الى الآخر فان التغاير انما يحصل في الاشياء بسبب الامتياز الخاص بينها والامتياز اذا ارتفع ينتفي التغاير واذا تمهد هذا نقول اذا كان الحال في الشيء أو المحل الذي حل فيه الشيء ذا وضع يكون الحال أو المحل أيضاً ذا وضع فانه لا يعقل ان يحل الشيء الذي لا يمكن ان يشار اليه بوجه من الوجوه اشارة حسية ان يكون حالاً في شيء أو محلا لشيء فاذا تحقق صفة الوضع في جانب الحال فلا بد من تحققه في جانب المحل وكذلك اذا

---

(١) قد يدعى ان الصورة في المرآة نور محدود فيقبل الاشارة الحاصرة بخلاف ما في خارج المرآة فانه نور غير محدود ويأبى الاشارة الحاصرة

ه . ن

(٢) وقد يدعى مثل ذلك في الحياة بل وفي الروح ويدعى انها تأبى الاشارة الحاصرة

ه . ن

(٣) الاشارة الحاصرة من لوازم ذوات الاوضاع وأما الاشارة غير الحاصرة كالاشارة الى الهواء المثبوت في الفضاء فلا يحصر المشار اليه في جهة تخصه ولا تدل على ان المشار اليه ذو وضع

ه . ن

تحققت في جانب المحل فلا بد من تحققه في جانب الحال اذا لا صلة بين ما لا يمكن وقوعه تحت درك الحواس والاشارة الحسية بوجه من الوجوه وبين ما يمكن وقوعه تحت درك الحواس والاشارة وبعبارة اخرى ان غير ذي الوضع من سنخ المجرد وذو الوضع من سنخ المادي وكذلك اذا ارتسم ما لا وضع له في شيء فيستكشف ان المرتسم فيه ايضاً غير ذي وضع لان ارتسام غير ذي الوضع في ذي الوضع غير معقول (١) فبذلك يظهر ان القوى الفيزيكية الحالة في ذرات الماده ذوات اوضاع لا مكان الاشاره الحسية اليها لكون محلها ماده ذات وضع لا سيما على النظرية الحديثة التي تجعل الماده صوره من صور القوه الكامنة في الذرات اكثر استقراراً فبناء عليها لا امتياز بين القوه والماده ولا اثنينية فبذلك يظهر انه لا يمكن ان تكون النفس من قسم القوى الفيزيكية وتلاعب تلك القوى ميكانيكا كما ينزع اليه المادي لان بعض الاثار تدل على انها ليست من قبيل ذوات الاوضاع

المتنبه : لا يقال الصور الخيالية وما يجري مجراها ليست بذوات اوضاع وهي ترتسم في متخيلات الحيوانات التي هي ذوات اوضاع لانا نقول هي من حيث ارتسامها في ذوات الاوضاع لان الاشاره الى محالها اشاره اليها وانما الخيال اذا ادركها انتزعها من اوضاعها التي كانت قبل الانتزاع معها

---

* (١) فيه تأمل على ان النور المنتشر وساير القوى المبثوثة تابى الاشارة الحاصرة التي من لوازم ذوات الاوضاع هـ ن

وجدت لها وضع آخر هو وضع الجزء من الدماغ الذي هو محل الخيال من حيث كونه في ذلك الجزء ولفقدان اوضاعها المنتزعة منها يظن ان لا وضع لها ولا منافات بين كون الشيء ذاوضع وبين ادراك ذي وضع لامن حيث هوذ وضع بل من حيث هو منتزع من وضعه الاول فاذن ثبت ان الصور الخيالية ذوات أوضاع من حيث ارتسامها في الخيال وان كان الخيال لا يدركها مع الاوضاع السابقة المفارقة لها

الشرح: وشرح هذا الكلام بأسلوب أسهل هو انه ربما لا يستقيم استحالة ارتسام مالا وضع له في ما له وضع اذا تصورنا ارتسام الصور الخيالية التي لا وضع لها حيث لا تقع تحت الاشارة الحسية بالحواس الظاهرية في متخيلات الحيوانات التي هي من ذوات الاوضاع ولكن الحقيقة ترشدنا الى ان الصور الخيالية من ذوات الاوضاع لان تلك الصور متحدة في الخارج مع ذي الصور غاية الامر ان القوه المتخيلة تنتزعها من أوضاعها ولا شك ان الاشاره الى محالها اشاره الى تلك الصور الحالة في محالها فيكون على ذلك من ذوات الاوضاع واذا انتزعها الخيال فهي تنتقل في محل القوه المتخيلة وهو جزء من الدماغ على رأي القدماء والحويصلات الخاصة بالحس على الرأي الحديث (فح). وجد لها وضع آخر أي الدماغ فلفقدان أوضاعها المنتزعة منها يظن بأن لا وضع لها غاية الامر ان الاوضاع الاولية فقدت ووجدت لها أوضاع اخرى ففي الحالة الثانية هي أيضاً ذوات أوضاع

التنبيه: اذا تقرر ذلك فنقول ان النفس الانسانية العاقلة يرتسم فيها معقولات لا وضع لها فهي لا تكون ذات وضع

الشرح : لان غير ذى الوضع كالمعقولات التى هي غير منتزعة عن الصور الخارجية بل هي أمر أدركه العقل كتعقل احتياج الخلق المعلول الى العلة الاولى الخالقة لايمكن أن يرتسم في ماله وضع واقع تحت درك حاسة واحدة أو أكثر

وبعبارة أخرى لا يتصور أن يتعقل الجسم بصفته الجسمية أوما يدركه الحواس من ذوات الاوضاع معنى افتقار المعلول الى العلة (فلايكون جسما) لان من خواص الجسم أن يدركه الحواس وثبت أن مايدركه الحواس لايمكن أن يرتسم فيه المعقول لانه يكون ذا وضع (ولا يكون حالة في ذي وضع) لان ما ارتسم أو حل في ذي الوضع فهو أيضاً ذو وضع (ولا يكون صورة جسمانية) فهذا متفرع على السابق لانه اذا لم يكن جسما فيلزم أن لا يكون صورة جسمانية (ولا عرضاً من شأنه أن يحل في جسم) لانها اذا كانت مستعدة للحلول على ذوات الاوضاع فتكون من ذوات الاوضاع بناء على المقدمة السالفة والفرض أنه ثبت أنها ليست من ذوات الاوضاع (ولا قوة بدنية) لان القوى البدنية لاتصدر منها أفاعيل النفس المختصة بها المستحيلة صدورها عن الجسم

التنبيه : (بل انما تكون جوهراً قائماً بذاته مفارقاً للجسم والمادة متعلقاً بالبدن تعلق تدبير لها ولتصرف منها يستعمله استعمال صانع لآلاته وتفيد البدن صورة بها تجعله شخصا من الاشخاص الانسانية) ولما مهد الفيلسوف هذه المقدمات شرع بذكر البراهين التي هي مبلغ علم الفلاسفة والعلماء في مسألة تجرد النفس وما هي كما أسلفناه الا كشف الحقيقة عن

ظهور آثارها الخاصة فذكر عدة براهين منها

المتن: (كيف لا وجميع القوى الجسمانية كالحواس الظاهرة والباطنة وغيرها تضعف بعد سن الوقوف وهي تقوي اذ يصير تعقلها أدق وأتم وأكمل)

الشرح: ذكرنا في الابحاث السالفة ان النظرية الحديثة تقول ان القوة غير منفصلة عن المادة وهي كامنة في ذرات المادة تتبع في نشاطها وضعفها على انحلال المادة وانتشار ذراتها فكلما افقدت المادة من ذراتها تفقد بمقدارها من قوتها الكامنة فلو كانت حقيقة النفس من تلاعب تلك القوى الموجودة في الذرات كما يقول به المادي لكانت تابعة في الضعف والنشاط للذرات التي تكوّن منها البدن وحلّت فيها القوة والامر على ضد ذلك فانا نرى النفس الناطقة الانسانية ترقى في درجات الكمال كلما بهبط البدن وقواه البدنية كالحواس الظاهرة والباطنة من مبلغ كمالها كما في دور الشيخوخة والهرم ففي هذا الدور من العمر مثلا يقوى تعقل الانسان ويتكمل ادراكه فبذلك يظهر ان النفس الناطقة ليست هي تلاعب القوى الكامنة في ذرات البدن.

المتن: (وتلك لا تدرك أنفسها وهي تدرك نفسها وتلك لا تدرك ما يتعلق بها)

الشرح: وهذا برهان ثان لتجرد النفس ومفاده انه تبين ان العلم والتعقل وأمثالهما من الاوصاف والعوارض الغنية عن المحل لا تقوم بالمحل اذ ثبت ان ما لا يحل في ما له وضع فهو مما لا وضع له ولا يحتاج الى محل يقوم به فمعروض التعقل أعني النفس ايضاً لا يحتاج الى المحل حيث ان

عارضها بصفة كونه عارضا لايحتاج الى المحل فالمعروض أولى بعدم الاحتياج أما بيان استغناء التعقل عن المحل فان النفس تدرك ذاتها بذاتها وتدرك آلتها وتدرك ادراكها بذاتها وآلاتها كل ذلك بلا توسط الآلة يظهر انها غنية عن المحل وبعبارة أخرى نقول ثبت ان الادراك قوة أعلى من حركة الاعصاب وحركة الخلية وانتباهها وثبت ان القوة المدركة تدرك نفسها ومتعلقاتها من دون حركة في العصب والخلية فلا يتصور ان يكون الشيء حالا ومحلاً بوحدته

المتن : وأيضاً النفس ترتسم بالمعقولات الوحدانية التي لا يقبل الانقسام بوجه كالوحدة فكل مرتسم بمثل ذلك فهو غير قابل للقسمة الوضعية والا لانقسم المعقول الذي ارتسم فيه بانقسامه فان كل مرتسم في منقسم على سبيل الحلول السرياني فهو منقسم بانقسامه وكل جسم فهو قابل للقسمة الوضعية فالنفس ليست بجسم ولا بقوة حالة في الجسم بالحلول السرياني

الشرح : وهذا برهان ثالث وهو ان عوارض النفس كالعلم بالعلة الموجدة للعالم وتعقل الحقائق البسيطة لا يقبل الانقسام بوجه كالوحدة الآبية عن الانقسام بوضعها وعدم قابلية العلم ونظائره من المعقولات الوحدانية للانقسام يدركه الوجدان بلا معونة البرهان فاذا عرض مثل هذا العارض على شيء أو ارتسم فيه فيستكشف ان المعروض أيضاً غير قابل للقسمة الوضعية حيث ان قابلية المعروض للقسمة يستلزم قابلية عارضه لها اذ كل مرتسم في منقسم على سبيل الحلول السرياني فهو منقسم بانقسامه فاذا لم يكن قابلاً للقسمة فهو فاقد لاخص خواص الجسم وهو الانقسام والتجزي فيظهر من فقد هذه الخاصة انها ليست بجسم ولا بقوة حاله في الجسم بالحلول السرياني لان نفس

الجلو السرياني يستلزم القسمة فاذا ساعدنا الدليل ان عارض النفس كالعلم و تعقل الحقائق البسيطة غير قابل للانقسام يمكننا ان نجيب عما يعترض به بعض منكري تجرد النفس ان الشعور خصيص المادة و المادة تتكمل شيئاً فشيئاً بتكامل بطيء بأن نقول ان المادة قابلة التقسيم الى الهيا آت بل هي مؤلفه من هبا آت صغيرة اذا نعزي لكل منها علماً و شعوراً فيكون للخلية من الاحساسات بقدر ما فيها من الهبا آت

و بتعبير أحزان النفس الانسانية ترتسم فيها معلومات و تشعر بها وهي غير قابلة للانقسام بالضرورة فلا يستقيم قول المادي من كون الشعور خصيصاً للمادة اذ المعلوم لا يقبل القسمة فيظهر انها شيء وراء المادة لكون المادة مؤلفة من الهبا آت ومقسومة بها فكيف يمكن انقسام نفسها وعدم انقسام خاصتها الحالة فيها ولا يحصل من اجتماع شعورات متعددة شعور كبير واحد ولا شعور بعضها بعضاً وكذا لا يتصور ان يكون شعور واحد مركزاً جاذباً لشعورات متعددة

المنه : لا يقال الجسم يوصف بانه واحد فهو مع قبوله القسمة محل للوحدة فلم لا يجوز ان يكون النفس مع كونها مرتسمة بمعقولات وحدانية قابلة للقسمة ؟ لانا نقول الجسم لا يرتسم فيه الوحدة انما يصفه العقل بالوحدة كما يصفه بالوجود أو الجنسية وذلك لان الوحدة أمر معقول ليس مما يحل في محل حلول الاعراض الموجود خارج العقل وللعقل ان يصف كل مايدركه اما بها أو بما يقابلها وهو الكثرة والتعدد

الشرح : غرض الفيلسوف من بيان هذا التوهم السفسطي ليمهد سبيل الاعتراض من كل جهة ولا يدع لاحد شكاً في بيان الحقيقة ولا ريب والعقل والحقيقة توضحان فساده ولذلك ضربنا صفحاً عن شرحه المتن : ثم نقول لايجوز ان يكون البدن ولا غيره من الاجسام ولا القوى الحالة في الاجسام علة توجد النفس وذلك لان كل ذي وضع لايجوز ان يؤثر الا فيما يكون منه على وضع كالمفارق (المقارن) والمجاور والمحاذى أو بينه وبين (وبينه ذلك) علاقة لاعلاقة بين البدن والنفس قبل وجود النفس ولا بين ذي وضع آخر وبين ما لاوضع له كالنفس وما يجرى مجريها فان ذلك مما هو واضح لبديهة العقل فاذن علة وجود النفس موجود مفارق غير ذي وضع دائم الوجود وانما يكون وجود المزاج البدني شرطاً في فيضان النفس عن مبدعها لتدبر البدن على مذهب « ارسطو » ولتعلقها به ان كان قبل البدن موجودة وذلك على مذهب « افلاطون » غرض الفيلسوف بهذا الكلام هو بيان ان مفيض النفس وعلتها الموجدة هو الله سبحانه عز وجل

وتقرير الدليل أن علة النفس لو كانت غير سبحانه تعالى اما يكون هي من ذوات الاوضاع أو من غير ذوات الاوضاع فعلى الاول البديهة تقضي أن ذا الوضع لايؤثر أي تأثير الا اذا كان المتأثر على وضع منه كالمقارن والمحاذي والمجاور ولولا صلة خاصة بين المتأثر والمؤثر من ذوات الاوضاع سواء كانت من الاجسام أو من القوى الحالة فيها لم يحصل العلية والتأثير ولا علاقة بين البدن الذي له وضع خاص وبين النفس التي لا وضع لها على ماتقرر في المقدمات السالفة والمستكشفة من آثارها الخاصة وعلى الثاني أيضاً لاصلة

بينها وبين ماهو من غير ذوات الاوضاع كالنفس وما يجري مجريها اذ البديهة تشهد بأن النفوس ممتازة بعضها عن بعض ولاصلة بينها ثم أنه سبق في الابحاث الماضية أن « أفلاطون » يرى النفوس موجودة قبل وجود البدن و « أرسطو » يرى الابدان شرطاً لفيضانها عن المبدع تعالى وعلى الرأي الاول وجود المزاج البدني شرط لتعلق النفس به وعلى الرأي الثاني هو شرط لفيضان النفس عن المبدع تعالى اليه

المتن : (وأيضا لايجوز أن يكون البدن ولا مزاجه شرطاً في بقاء النفس لان النفس هي الحافظة والمبقية للبدن ومزاجه بتدبيرها وايراد الغذاء عليه بدلا عما يتحلل منه فان كان البدن أو المزاج شرطاً في بقاء النفس لزم الدور) أي يتوقف بقاء النفس على وجود البدن اذ هو شرط في بقائها على الفرض ويتوقف بقاء البدن على وجود النفس لانها هي الحافظة والمبقية له بتدبير الغذاء عليه بدلا عما يتحلل

(ولما فاضت النفس عن مبدعها على البدن أو تعلقت به على أي المذهبين كان لم يبق للبدن ولا لشيء مما يتعلق به تأثير عليته ولا تأثير شرطيته في وجود النفس ولا في بقائها فلا تضر النفس فقدان البدن أو قطع العلاقة بينه وبينها بوجه وتبقى النفس موجودة دائمة بدوام مبدعها ومفيضها لوجوب وجود المعلول مع وجود علته واستحالة انفكاكه عنه وهو المطلوب)

الشرح : كانت مباحث الرسالة ثلاثة أركان أولها اثبات تجرد النفس الناطقة والثاني اثبات ان مبدع النفس هو الله تعالى الثالث اثبات بقائها بعد بوار الجسد وهذا الكلام عنوان الامر الثالث بدليل بسيط وبيانه انه ثبت ان مفيض

النفس للبدن هو الله تعالى عز شأنه فعلى المذهبين أي مذهب « افلاطون » ومذهب « ارسطو » لم يبق للبدن ولا لشيء مما يتعلق به تأثير عليته وتأثير شرطيته لان مفيضها هو الله تعالى وكذلك لا يبقى له تأثير في بقاء النفس أيضا لانه لم يكن علة في وجود النفس فليس علة في بقائها فلا يضر النفس فقدان البدن وقطع العلاقة بينه وبينها ولما كانت علتها علة سرمدية فالمعلول أيضا يبقى ببقاء علتها على الدوام لان وجود العلة يستلزم وجود معلوله ويستحيل انفكاكه عنها

التنبيه (وبوجه آخر نقول كل أمر يكون في شيء من الاشياء بالقوة ثم خرج الى الفعل وجب ان يكون ذلك الشيء الذي كان فيه ذلك الامر باقيا عند خروج ذلك الامر الى الفعل حتى يصح الخروج من القوة الى الفعل وان انعدم ذلك الشيء عند خروج ذلك الامر من القوة الى الفعل لما كان الامر الذي كان فيه بالقوة خارجاً منه الى الفعل (ماغير [1] نطفة) (كما في نطفة) الانسان فان الانسانية في مادتها بالقوة ولا بد من وجود تلك المادة عند صيرورتها انساناً بالفعل والا لما كان ذلك الانسان من تلك النطفة وصورة النطفة لما كانت عند خروج الصورة الانسانية الى الفعل غير باقية لم تكن الصوره الانسانية في تلك الصوره بالقوه بل امتنع جمعها في تلك الماده ولذلك لما خرجت هذه الى الفعل في مادتها فنيت تلك فيها واذا تقررت هذه المقدمة فنقول لو جاز الفناء لكان الفناء فيها حال الوجود بالقوه واذا خرج الفعل وجب ان تكون النفس مع فنائها موجوده فهذا خلف . اذاً ثبت انه لا يجوز عليها الفناء)

(١) كانت عبارة الاصل حسبما أثبتناه .

تقرير الدليل انه اذا كان في ذات شيء استعداد خروج أمر من القوة الى الفعل كاستعداد نشو الانسان من النطفة ونمو الثمره من الشجره أو استعداد ظهور آثار الحواس الظاهرية والباطنية من الدماغ فلا بد من بقاء هذا الامر أي المحل حال خروج ذلك الامر من القوه الى الفعل ومن الاستعداد الصرف الى الوجود وهذا مما لا ريب فيه ببديهة من العقل اذ لو لم يكن ماده النطفة أوالشجره أو الدماغ باقية حين خروج ذلك الامر من القوة والاستعداد الى الفعل . لم يظهر الانسان والثمره وآثار الحواس في عالم الوجود وما كان من أجزاء المحل أو عوارضه تنعدم وتفنى عند خروج الامر الى الفعل يستكشف منه ان الشيء الخارج الى الفعل لم يكن في ذلك الجزء والعارض كفناء صوره النطفة ومادة الثمرة الاصلية في نشوء الانسان ونمو الثمرة بل أمتنع جمع الصورتين في مادة واحدة فعليه لو كانت النفس الناطقة قابلة للفناء ليلزم بقائها حين خروج الفناء الى الفعل والفناء والبقاء ضدان لا يجتمعان في محل واحد وفي آن واحد ولما مهد المقدمة ورتب عليها الدليل أخذ في دفع الاعتراضين الذين ربما يتوجهان اليه فبين أولهما بقوله (« فان قيل فعلى هذا لتقدير لا يكون الفناء جائزاً على موجود أصلا ») بتقريب ان الحس والاختبار يثبتان فناء كثير من الموجودات مع ان هذا الدليل شامل لها أيضاً اذ استعداد الفناء في الموجودات الفانية اذا خرج الى الفعل يلزم بقاء ذي الاستعداد بهذا الدليل في حين سير الامر من القوة الى العفل والفناء والبقاء ضدان لا يجتمعان ! فدفعه بقوله : (قلنا الفناء جائز على كل موجود ممكن

يكون حالا في محل ويكون في محله قوة انعدام ذلك الموجود عنه فاذا خرج انعدامه الى الفعل كان المحل باقياً مع ذلك الانعدام كصوره النطفة التي تنعدم عن مادتها وتكون تلك الماده مع انعدامها موجوده وبهذا الدليل لا ينعدم شيء من الموجودات سوى ما يحل في محل كالصوره والاعراض وما يركب منهما ومن غيرهما كالجسم الذي ينعدم باحد جزئيه وهو الصوره) . خصص الفيلسوف بهذا الكلام الفناء على موجود ممكن حال في محل كالصور والاعراض ويكون المحل مستعداً للبقاء مع فناء ذلك الحال وزواله عنه كصوره النطفة الفانية مع بقاء ماده النطفة والفناء على رأيه يختص في الموجودات بما يحل في محل الصور والاعراض وما يركب منهما كالجسم بوصف الجسمية الفاني بفناء صورته التي هي أحد جزئيه وبين ثاني الاعتراضين بقوله : (فان قيل لو كانت النفس مركبة من حال ومحل كالجسم لجاز عليها العدم) ودفعه بقوله : (قلنا لا يجوز العدم على الجزء الذي هو المحل ونحن نعني بالنفس ذلك الجزء دون ما يحل فيه فان النفس كما تقرر شيء يرتسم فيها كثير من الصور بحيث يحدث فيها ويزول عنها وهي لا تنعدم بانعدامها واذا ثبت أن النفس ليست بصورة للبدن ولا بعرض حال فيه ولا بمركبة من حال ومحل ثبت أن الفناء لا يجوز عليها)

مفاد هذا الكلام على اختصار تام أن النفس لو كانت مركبة من حال ومحل كالجسم المركب من الصورة الحالة والمادة التي حلت الصورة فيها وقوام الجسم بهذين الجزئين لتوجه الاعتراض ولكن النفس ليست مركبة منهما بحيث يكون قوامهما بهما كالجسم وذلك انا نرى أن كثيراً من الصور

يحدث فيها ويزول عنها فهي مع ذلك الحدوث والزوال باقية ثابتة فالنفس هي المحل الذي يحدث فيها الصور ويزول عنها واذا ثبت أن النفس ليست بصورة للبدن ولا بعرض حال فيه ولا بمركبة من حال ومحل فالفناء لا يجوز عليها (هذا ما حضرني في الوقت مع اشتغال القلب مما أستند به من كلام العلماء في هذا الباب والله أعلم بحقيقة الحال

خطأ	صواب	ص: ٣	سطر ٣
اكشف	اكتشف	١٧	٤
لورق	الورق	١٨	٢٠
لحواس	الحواس	٢٤	٣
تضاركيس	تضاريس	٢٥	٣
منه	منها	٢٦	٣
الجوهر النجابي	الجوهر السنجابي	٢٧	١١

CA 218:T96rA:c.1
الطوسي، نصير الدين محمد بن محمد
رسالة بقاء النفس بعد فناء الجسد، وشر
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01003408

CA
218
T96rA
C.1